خصوصية الشراكة الأطلسية-المغربية في إطار الحوار المتوسطي للحلف

سمير قط

أستاذ مساعد (أ) بقسم العلوم السياسية

جامعة محمد خيضر - بسكرة

ملخص:

تتناول الدراسة بالتحليل والنقد علاقة الشراكة بين الحلف الأطلسي والدول المغربية. فالحلف الأطلسي كفاعل جديد في المنطقة المغربية، قد أثار تساؤلات عديدة بشأن أهدافه الحقيقية من هذه الشراكة. وتفكك مفاصل المنطقة المغربية، وغياب التكامل بين دولها أو أقله التنسيق فيما بينها، أتاح للناو القدرة على التغلغل في هذا الفضاء، وتطبيق أجندته الأمنية.

الكلمات الدالة: الشراكة-المغرب العربي-الحلف الأطلسي-المتوسط

Résumé :

Cette étude porte un regard critique sur le partenariat entre la l'O T A N et les pays maghrébins. L'OTAN soulève, comme acteur dans la région maghrébine, un ensemble d'interrogations relatives aux réels objectifs de ce partenariat. De plus, la désarticulation de la région maghrébine et le manque de l'intégration ou du l'absence de coordination en son sein , a donné à l'OTAN la capacité de pénétrer cet espace pour appliquer son propre agenda sécuritaire.

Mots clefs : partenariat- Maghreb- Otan- méditerranée.

Summary :

The study takes up the partnership relationship between NATO and Maghreb States, both with analysis and criticism. so, NATO, as a new actor in Maghreb region has arisen several questions over its real goals of the partnership while it could penetrate deeply in the Maghrebin space and

applied its security agenda thanks to the disintegration of the Maghreb as an entity, lack of integration, or at least the coordination among its States.

Key Words: Partnership- Maghreb- NATO- Mediterranean.

مقدمة

جاء الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي في سياق توجه استراتيجي غربي جديد تجاه الجناح الجنوبي للمتوسط عمومًا، وللمنطقة العربية بكيفية خاصة. فقد دشنت أوروبا مسار برشلونة في 1995 الذي رامت من خلاله إقامة علاقات جديدة مع دول الضفة الجنوبية للمتوسط عنوانها العام الحوار والشراكة. كما غيرت الولايات المتحدة من نمط علاقاتها مع دول "شمال إفريقيا والشرق الأوسط"، عبر مشاريع إستراتيجية مهمة؛ الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد... لذلك فقد كان الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي نتيجةً حتميةً لهذه التوجهات الغربية الجديدة.

انطلق الحوار الأطلسي-المتوسطي عام 1994، ويظم حاليًا سبع دول وهي، الجزائر، المغرب، تونس، موريتانيا، مصر، الأردن وإسرائيل. وكانت بعض دول أوروبا الجنوبية خاصة إيطاليا، إسبانيا والبرتغال، أبرز من دافع عن هذه الفكرة (الحوار) والحث عليها. وقد كان التركيز في هذا الحوار على دول المغرب العربي، ويعزى ذلك لسببين رئيسيين أولاً: القرب الجغرافي لهذه الدول من الضفة الجنوبية للمتوسط؛ فهي المتأثرة مباشرةً بأزماته ونزاعاته، خاصة مع انفجار "الازمة الداخلية" في الجزائر وصعود الإسلاموية أكثر فأكثر. ثانيًا: إتمام "مسار السلام" العربي-الإسرائيلي الذي انطلق في بداية التسعينات، والذي يهدف لتطبيع إسرائيل في المنطقة العربية، ويعد نجاح هذا المسعى مع بعض دول المشرق العربي، توجه الحلف الأطلسي نحو المغرب العربي للمساهمة في إنجاز هذه المهمة.

اهتمام الناتو الجديد بمنطقة المغرب العربي، عكس إجماع أعضائه في إطار العلاقات عبر-الأطلسية بين أوروبا والولايات المتحدة. فالأخيرتان تبنتا تصورات متناغمة بخصوص استراتيجيتهما

في منطقة المغرب العربي، المتمحورة حول "التعاون" الأمني وعلى "الشراكة".* هذا التصور، تُرجم في المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف الأطلسي. ومن أجل ذلك عمل الناتو جاهداً لمغازلة دول المغرب العربي والتقرب منها، من أجل "تصحيح" صورته (كما يعلن) لدى هذه الدول. غير أن تدخله العنيف في ليبيا ومساهمته الحاسمة في الإطاحة بنظام القذافي، أثرت بالغ الأثر على توجهات الحلف الجديدة في المنطقة، وجعلت دولها تتخوف من عودت الناتو لسلوكيات الحرب الباردة القسرية والعنيفة.

أولاً: المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف الأطلسي: الأمن عبر الشراكة

جاء المفهوم الإستراتيجي الجديد لحلف الناتو الذي تبنته قمة لشبونة في 20 نوفمبر 2010 تحت عنوان: "مفهوم استراتيجي: التزام نشيط، دفاع عصري". ركز هذا المفهوم الجديد على فكرة الشراكة لتعزيز الأمن الدولي. فبعد تقييمه للبيئة الأمنية الدولية الجديدة، أكد الحلف في المفهوم الإستراتيجي على التهديدات الجديدة التي تحق بمنطقة الأورو-أطلسي، وفي هذا الصدد ورد في الفقرة السابعة من وثيقة المفهوم ما يلي: اليوم، تعيش منطقة الأورو-أطلسي في سلام، فالخوف من هجوم تقليدي ضد منطقة الناتو احتمال ضعيف. وهذا يعبر عن نجاح تاريخي للسياسات التي تقود الحلف منذ نصف قرن، التي تمكنت من حفظ دفاع متين، اندماج وشراكة أورو-أطلسية نشيطة".⁽¹⁾ في المقابل أشار المفهوم الجديد للناتو لتهديدات جديدة لخصها في انتشار الأسلحة النووية، الإرهاب، اللا-استقرار والنزاعات خارج منطقة الحلف، الهجمات الإلكترونية... هذه التهديدات الجديدة تستدعي حسب فلسفة الناتو الجديدة، التعاون مع مختلف دول والمنظمات الدولية في العالم، والشراكة معها على الصعيد الأمني. فالشراكة كفيلة بتعزيز أمن منطقة الأورو-أطلسي وضمانه بشكل أفضل.

(*) تتاغم التصورات الأوروبية والأمريكية تجاه منطقة المغرب العربي، لا ينفي وجود تنافس محتدم على الصعيد الاقتصادي

وحتى الاستراتيجي.

(¹) OTAN, « concept stratégique pour la défense et la sécurité des membres de l'organisation du traité de l'atlantique nord » adopté par les chefs d'état et de gouvernement à Lisbonne. « Engagement actif, défense moderne. » www.nato.int/cps/fr/natohq/official_texts_68580.htm

أعلن الحلف الأطلسي من خلال مفهومه الإستراتيجي الجديد أن له أهدافاً إستراتيجيةً يتوخاها من شبكة الشراكات التي أقامها مع مختلف دول ومنظمات العالم وهي:

*تعزيز الأمن، السلم والاستقرار في منطقة الأورو-أطلسي، وفي العالم.

*تعزيز الثقة والتفاهم المتبادل بما فيها دور ونشاط الناتو بفضل دبلوماسية عامة نشيطة.

*ترقية الأمن والتعاون الإقليمي.

*تسهيل التعاون المتبادل المثمر للمصالح المشتركة بما فيها ما يتعلق بالقوات الموظفة على المستوى الدولي لمواجهة التحديات الأمنية البارزة.

*تحضير الدول المعنية التي تطالب بالانضمام للناتو.

*ترقية الإصلاحات ومعايير الديمقراطية.

*تقوية ومساندة العمليات والمهام المدارة من طرف الناتو.

*التحسيس بأهمية التعاون الأمني، خاصة في مجال الإنذار المبكر، في إدارة الأزمات.⁽¹⁾

شبكة الشراكات الجديدة للحلف الأطلسي، عبرت عن تغير نوعي في مهام الناتو الجديدة. فقد دار حوار جدي بين أعضاء حلف الأطلسي حول مستقبل دور الناتو بعد الحرب الباردة. هل سيبقى مجرد حلف دفاعي أمريكي-أوروبي، أم يتعين توسيعه عبر سياسة الباب المفتوح، بالنسبة للديمقراطيات الأوروبية، والشراكة مع الدول خارج المنطقة الأورو-أطلسية؟ (horszone). ويبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية، كانت تؤيد الرؤية الثانية؛ التي تقول بعولمة دور الحلف. فمنذ العقد الأول للقرن الجديد، كان الأوروبيون يرفضون أي التزام عسكري في منطقة الشرق الأوسط، لكن أحداث 11 سبتمبر 2001، دفعتهم لتغيير قناعاتهم حيث شاركوا في التدخل في أفغانستان في

(1) OTAN, " partenariats: une approche coopérative de la sécurité". Fiche d'information, décembre 2013.

http://www.nato.int/nato_static/assets/pdf/pdf_2013_12/20131127_131201-MediaBackgrounder-Partnerships_fr.pdf

2001 وفي العراق 2003. وقد جاء "مفهوم لشبونة"^{*}، ليؤكد الدور العالمي للحلف الأطلسي، فعند تحديده (مفهوم لشبونة) للتهديدات العالمية، ركز بشكل خاص على انتشار أسلحة الدمار الشامل والإرهاب في مناطق معينة من العالم.

ثانياً: الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي: التركيز على دول المغرب العربي

ينطلق الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي من تصور أساسي مفاده أن أمن أوروبا والأطلسي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأمن في المتوسط. فضلاً عن ذلك، فإن البيئة الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة، دفعت الحلف الأطلسي لتبني سياسة الانفتاح والشراكة. حدد الحلف الأطلسي ثلاث أهداف أساسية في حوار المتوسطي، وهي: المساهمة في أمن واستقرار المنطقة، وتوفير سبل أفضل للتفاهم بين الحلف ودول الحوار، وأخيراً تبديد "الأفكار الخاطئة" عن الحلف، لدى الدول المشاركة في هذا الحوار. فضلاً عن ذلك، فإن الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي، يعتبر عملية تطويرية، فيما يخص المشاركين أو من حيث المضمون. كما أن له مسارين ثنائي الأطراف (الناتو+1)، وآخر متعدد الأطراف (الناتو+7). كما أن لهذا الحوار بعدين سياسي وآخر تطبيقي. البعد السياسي، يقوم على الحوار ثنائي الأطراف ومتعدد الأطراف، وذلك من أجل التشاور، الذي يظم المسؤولين من أعلى المستويات، سواء الوزارية أي بين وزراء الخارجية وممثليهم، أو العسكريين، أي بين وزراء الدفاع وقيادات الأركان، حول الأمن في منطقة المتوسط.⁽¹⁾ وقد رفع هذا الحوار إلى مصاف الشراكة في قمة اسطنبول 2004.

أما البعد التطبيقي، فمقاييس الحوار هنا أعلن عنها في برنامج العمل السنوي، التي تبحث في سبيل وضع موضع التنفيذ، حيثيات البرامج المتفق عليها. والتي تضم ملتقيات، ورشات، وعدة نشاطات أخرى في شتى المجالات: عصنة القوات العسكرية، خطط الطوارئ المدنية، إدارة الأزمات، تأمين الحدود، مكافحة الإرهاب، السيطرة على الأسلحة الخفيفة، الدبلوماسية العامة، التكامل العلمي والتشاور في مسائل الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل. كما يشمل الجانب

(*) عرف حلف الأطلسي منذ نهاية الحرب الباردة، ثلاثة مفاهيم استراتيجية وهي: مفهوم روما سنة 1991، مفهوم واشنطن سنة

1999، ثم مفهوم لشبونة 2010.

(1) OTAN, "le dialogue méditerranéen". http://www.nato.int/cps/fr/natohq/topics_52927.htm

التطبيقي، بعداً عسكرياً يتمثل في توجيه دعوات لدول الحوار، للحضور كملاحظين، وفي بعض الحالات كمشاركين في تمارين عسكرية.⁽¹⁾

مع قمة اسطنبول، تم الاتفاق على رفع الحوار إلى مصاف الشراكة (كما أشرنا)، فقد أصبح التوجه المستقبلي في التركيز على تطوير تعاون أكثر عملية، أين حددت أهدافاً جديدة تتعلق باستكمال التنسيق المشترك للعمليات، أي تحسين القدرات الدفاعية لدول الحوار وتأهيلها لتتمكن من العمل مع قوات الناتو. كما تم تعزيز الحوار السياسي، عبر تنظيم اجتماعات استثنائية على مستوى الوزراء، والمباحثات الجارية على مستوى مجموعات العمل وعلى مستوى السفراء.⁽²⁾ فقد أعلنت قمة اسطنبول أن الناتو سيلتزم بدعم قيم الديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان في داخل الدول المنظمة للحوار المتوسطي، وذلك وفق مبدأ "التمايز الذاتي" أي كل حالة على حدة بعبارة أخرى، كل دولة حسب احتياجاتها ومتطلباتها واستعداداتها.

يبدو أن الحلف الأطلسي ليس جادا في التزامه المعياري هذا؛ إذ عودتنا القوى الغربية عموماً على التعاطي مع دول الجنوب ومنها المتوسطية بمقاربة براغماتية-مصلحية، إذ تغلب الحتميات الإستراتيجية-الأمنية على الاعتبارات المعيارية-الأخلاقية، والدليل على ذلك، أن الحلف الأطلسي يتعامل مع أكثر النظم العربية استبدادا وتسلطا (الأردن، المغرب، مصر...) ولا يطالبها بإدخال إصلاحات سياسية جادة، ما دامت تستجيب لتطلعاته الأمنية في المنطقة. فضلا عن ذلك، فإن الحلف الأطلسي لا يوفر لادعاءاته المعيارية هذه، إلا النذر اليسير من ميزانيته، فشغله الأكبر هو احتواء أوروبا الشرقية وضمها، التي يخصص لها القدر الأكبر من ميزانيته.

1-دوافع تركيز الناتو على منطقة المغرب العربي: أهداف متقاطعة

عوامل عديدة تضافرت دفعت حلف الناتو لتركيز علاقاته مع دول المغرب العربي في إطار حوار المتوسطي. أولاً: الحوار الأطلسي-المغاربي، لم يصل بعد إلى المستوى المتطور الذي بلغته الشراكة الأطلسية مع دول المشرق العربي خاصة مصر والأردن و"إسرائيل". ثانياً: العلاقات

(1) OTAN , « Initiative de coopération d'Istanbul ». Fiche d'information, 28 juin

2004.www.nato.int/nato_static/.../20140401_140401-factsheet-ICI_fr.pdf

(2) Ibidem.

ما بين-مغربية، كما هو معروف علاقات يشوبها التشرذم وعدم تجانس المصالح، وغياب الثقة فيما بينها، فيطبع دول هذه المنطقة، تعدد أطر التعاون الإقليمي، مع القوى الغربية أوروبا، الولايات المتحدة...، تباين الرؤى بشأن الفضاء المتوسطي أمنياً واقتصادياً، التنافس الثنائي، فضلا عن غياب إرادة سياسية حقيقية لتجاوز الخلافات بين بلدان هذه المنطقة خصوصا قضية الصراع الصحراء الغربية بين المغرب وجبهة البوليزاريو، فيدعي الناطو أنه سيساهم في ضمان أمن هذه المنطقة والمشاركة في تعزيز الثقة بين دولها. هنا يطرح سؤال: هل دول المغرب العربي بحاجة لفاعل أجنبي حتى تفكر في العمل الجماعي المشترك؟ وهل يمكن للناطو أن يدفع هذه البلدان للتعاون من أجل بناء صرح إقليمي بإمكانه مواجهة المخاطر والتهديدات المحدقة به؟ ثالثا: الأزمة المالية التي مست أعضاء الحلف الأطلسي، جعلتهم يغيرون فلسفتهم والتأكيد على الشراكة والتفكير في "عوائدها".⁽¹⁾ رابعا: مواجهة التحديات الأمنية المشتركة، التي تواجه أعضاء الحلف الأطلسي ودول المغرب العربي على حد سواء، خاصة الإرهاب والهجرة غير الشرعية والأصولية الدينية. علاوة على ذلك، فقد ازدادت البيئة الأمنية المغربية ترديا بسبب الأزمات العميقة التي تعرفها منطقة الساحل الإفريقي والتي ألقت بضلالها على المغرب العربي، إضافة إلى تبعات الربيع العربي، وما نتج عنه من معضلات أمنية خاصة "الحرب الأهلية" في ليبيا. هذا من جانب الحلف الأطلسي.

أما من وجهة نظر مغربية؛ فقد كانت لأنظمة هذه الدول رغبة في تطوير علاقات متميزة مع الحلف الأطلسي وذلك حتى تظهر في صورة المتعاون، حتى تتجنب تصنيفها كدول مارقة أو مساندة للإرهاب، وهي الصفة التي صارت لصيقة بكل من لا يتعاون مع القوى الغربية سيما على الصعيد الأمني. كما أن هذا التقارب مع الناطو يضي على أنظمة هذه الدول شرعية من الخارج، فهي تفتقد لمثل هذه الشرعية من الداخل، فضلا عن ذلك فهذا التقارب، يتيح لهذه الأنظمة تحقيق هدفين داخلي وخارجي. الأول، يتعلق بقمع أية معارضة داخلية ومن ثم نعت أي رفض للحكم بالإرهاب والتطرف.. أما الهدف الثاني، فهو تجنب الضغوط الخارجية بشأن الإصلاح

(1)PiereRazou. "Comment redynamiser le dialogue méditerranée de l'OTAN, avec les pays du Maghreb !"Researchepaper, N° 64, collègue de défense de l'OTAN (NDC), Rome, Décembre, 2010. PP 1-2.

السياسي والديمقراطية وحقوق الإنسان. فضلاً عن ذلك، وفي إطار التنافس المغربي البيني، فإن كل دولة تسعى للتقرب أكثر من غيرها للحلف الأطلسي ولو بتقديمها تنازلات.⁽¹⁾

2- تصورات الناتو للا-أمن في منطقة المغرب العربي- الساحل الإفريقي

العديد من الملفات الأمنية والتهديدات المشتركة، يمكن أن تكون (بحسب الناتو) أساسات لبناء شراكات أمنية مع دول المغرب العربي. فالحلف الأطلسي يرى منطقة شمال إفريقيا "كملحقة" للشرق الأوسط، التي تعاني (منطقة شمال إفريقيا) نفس الأزمات والتهديدات ولو بحدّة أقل. ويمكن تلخيص هذه التحديات والتهديدات فيما يلي:

- **الأمن الطاقوي:** يعتبر أمن الطاقة في المتوسط الغربي عموماً، أحد مصادر قلق أعضاء حلف الناتو. ذلك أن 65% من واردات أوروبا من البترول والغاز الطبيعي تمر عبر البحر الأبيض المتوسط. فضمان أمن واستقرار هذه المنطقة من وجهة نظر الحلف، لا يعود بالفائدة على الدول المستوردة للطاقة فحسب، بل على الدول المصدرة له أيضاً⁽²⁾ مثل النفط (الجزائر ليبيا) والغاز (الجزائر).

- **الإرهاب والجريمة المنظمة:** منطقتي المغرب العربي والساحل الإفريقي، صارت مرتعاً لتنظيمات إرهابية قامت باعتداءات خطيرة لم تمس أمن دول المنطقة فحسب، لكن أيضاً أضرت بمصالح أعضاء الناتو الغربيين بشكل بالغ. ونخص بالذكر القاعدة في المغرب الإسلامي، الذي تجعل من كل المنطقة فضاءً لحركتها ونشاطها الإرهابي. هذا ما دفع الحلف إلى تكريس جانب مهم من برامج التطبيقية في التعاون مع دول الحوار المتوسطي (المغربيين) على مكافحة الإرهاب في هذا الفضاء. فضلاً عن ذلك، فقد عرفت المنطقة انتعاشاً كبيراً للجريمة المنظمة، التي وجدت في فشل دول المنطقة وضعف مؤسساتها الأمنية، فرصةً لتطوير نشاطها.

(1) عبد النور بن عنتر. "الحلف الأطلسي والدول المغربية، توازنات جديدة." مركز الجزيرة للدراسات. 30 أكتوبر 2011. ص

ص 2-3.

(2) Jesse Nordam. « le dialogue méditerranéen: dissiper les malentendus et établir la confiance ».

Revue de l'Otan, N° 4, juillet-aout 1997. P 26.

-الهجرة:منطقة المغرب العربي من وجهة نظر الحلف الأطلسي بخصوص الهجرة تعد في الوقت ذاته منطقةً مصدرًا لهذه الهجرة ومنطقة عبور لها نحو أوروبا. أشار تقرير للمنظمة الدولية للهجرة، أن عدد الوفيات من المهاجرين في البحر المتوسط بلغ 3072 في السنوات الأخيرة.⁽¹⁾ هذا الرقم المخيف يسبب لا محالة في لا-استقرار المنطقة برمتها، فالحرب في ليبيا دفعت الآلاف للهجرة نحو الأراضي الأوروبية.

- **الانكشاف الأمني في الساحل:** دخلت في معادلة الأمن في المغرب العربي والمتوسط الغربي بشكل عام، منطقة الساحل والصحراء.⁽²⁾ فالأخيرة (كما سبق وأشرنا)، تعيش انكشافًا خطيرًا من أزمات عميقة ومخاطر أمنية كبيرة، شكلت تحديًا للأمن الإقليمي، فقد أضافت عبئًا أمنيًا على منطقة المغرب العربي التي تعيش أصلًا في ظروف أمنية وسياسية صعبة. الأمر الذي جعل الناتو يدخلها في حساباته الإستراتيجية والأمنية، وفي أي برامج عسكرية خاصة بالمغرب العربي. فالأزمة في شمال مالي، قادت المنطقة ككل إلى حالة من اللا-استقرار بعد الحرب الداخلية بين الحكومة في جنوب مالي والأزواد في الشمال، وما عرفته هذه الأزمة من تداعيات خطيرة جعلت بعض أعضاء الحلف الأطلسي (فرنسا) تتدخل عسكريا لحل الأزمة غير أنها فشلت في ذلك. "الحرب الأهلية" في ليبيا من جهتها، شكلت ما يمكن أن نسميه "كرة تليج" في المنطقة، فقد انتشر السلاح الليبي (غير المسيطر عليه) وقد وقع فعلا بيد الجماعات الإرهابية خاصة القاعدة في المغرب الإسلامي.

علاوة على كل ذلك، فقد انتعشت الجريمة المنظمة في الساحل الإفريقي، خاصة تجارة المخدرات التي باتت تتخذ من دول المغرب العربي مناطق عبور لها نحو أوروبا. كما تحول المغرب العربي كذلك، لمنطقة عبور لجحافل المهاجرين غير الشرعيين نحو "أرض النعيم" أوروبا. ذلك ما جعل الناتو يتعامل مع المغرب العربي والساحل الإفريقي كفضاء جيو-أمني واحد.

(1) Ibidem.

(2) Rabah Aynaou. « L'OTAN et les enjeux sécuritaires dans la région saharo-sahélienne à l'ère de la nouvelle donne géopolitique ». Resherch Paper, NATO, défensecollège, Rome-N°. 110-March 2015. pp 3-6.

ثالثاً: التعاون العسكري الأطلسي-المغربي

1-التعاون متعدد الأطراف: عملية المسعى النشط

ذكرنا أن للحوار المتوسطي للحلف الأطلسي مسارين ثنائي الأطراف وآخر متعدد الأطراف. الأخير يسعى الناتو من خلاله إلى إشراك دول الحوار بشكل جماعي، سواء في النقاشات السياسية أو في البرامج العسكرية التي ينظمها. وتعد عملية المسعى النشط التي نظمها الحلف الأطلسي، أحد الأطر متعددة الأطراف والتي يقودها، والموجهة لدول الحوار بما فيها بلدان المغرب العربي. أصبح الإرهاب كتهديد لأمن أعضاء حلف الناتو منذ المفهوم الإستراتيجي المتبنى سنة 1999 في واشنطن، (قبل هجمات سبتمبر 2001). وبعد هذه الأحداث أطلق الحلف عملية المسعى النشط، تفعيلاً للمادة الخامسة من ميثاق الحلف. هدف هذه العملية، اكتشاف وإفشال أي نشاطات إرهابية في حوض البحر المتوسط.⁽¹⁾

فمنذ أكتوبر 2001، سفن الحلف الأطلسي تقوم بدوريات للملاحة والمراقبة في حوض المتوسط، لغرض مكافحة الإرهاب. وفضلاً عن هذا الهدف المعلن، تسعى هذه العملية لضمان أمن الطرق البحرية في المتوسط أمام الملاحة التجارية التي تعد مهمة بالنسبة للناتو. بعض الدول العضوة في الحلف تساهم مباشرة في هذه العملية، عبر تقديمها لوسائل بحرية. كما يساهم بعض حلفاء الناتو في المنطقة بتقديم دعم لوجيستي مهم لهذه العملية.

في مارس 2003، تم توسيع عملية المسعى النشط لتضطلع بمهام جديدة تتعلق بمرافقة السفن غير العسكرية التابعة لأعضاء الحلف التي تطلب ذلك، في مضيق جبل طارق. وفي أبريل 2003، توسعت العملية من جديد أين بدأت القوات المشاركة في العملية في زيارات منتظمة للسفن المشتبه بها. وفي مارس 2004، غطت عملية المسعى النشط حوض المتوسط برمته. فهي إذن؛ عملية تتجاوز إطار الحوار المتوسطي لتنظم كذلك دول الشراكة من أجل السلام إضافةً إلى روسيا.⁽²⁾ فعملية المسعى النشط، هي الوحيدة التي استطاع الناتو من خلالها تفعيل (المادة 05)،

(1) Rachid el Houdaigui. « L'opération ActivEndeavour et son impact sur le dialogue méditerranéen de l'OTAN ». occasionalpaper N° 22, NDC, Rome, Juin, 2007. PP 16-17.

(2) Ibid. p 18.

حول الأمن الجماعي والدفاع المشترك. فهذه المادة لطالما وجدت صعوبة في تجسيدها، بسبب الخلافات عبر-الأطلسية سيما بين الرؤية الأمريكية شرق/غرب والرؤية الأوروبية شمال/جنوب.⁽¹⁾ وقد تعمقت هذه العملية مع مرور السنوات، لتدخل في نطاق نشاطاتها، مسألة تبادل المعلومات بين الدول المشاركة فيها، رغم أن تحقيق هذا المسعى يبدو بعيد المنال بالنظر لسيادة انعدام الثقة بين الدول المشاركة.

رغم مشاركة دول المغرب العربي في هذه العملية (المسعى النشط)، إلا أنهم عبروا عن مخاوف عديدة، تتمحور حول مركزية الحلف الأطلسي في العملية، فهم يخشون (دول المغرب العربي)، مخاطر الانزلاق في تصورات الحلف وعملياته. كذلك اعتبروا أن هذه العملية تتجاوز أهدافها المعلنة، وهي مكافحة الإرهاب في المتوسط، بل لها غايات أخرى فهي تسعى لجعل البحر المتوسط، قاعدة لخطط بحرية في مناطق أخرى أكثر أهمية استراتيجياً،⁽¹⁾ خاصة المناطق المتاخمة مثل البحر الأسود، البحر الأحمر والمتوسط الأطلسي وكلها مناطق عبور للمواد الأولية. (2) المناطق البحرية غير المتاخمة (exontrées) خاصة الخليج العربي وخليج غينيا الغني بالمواد الطاقوية.⁽²⁾ في هذا الإطار يعد التدخل في ليبيا منفذاً مهماً للحلف على القارة الإفريقية عموماً، التي تمثل مصالح طاقوية لأعضائه، كما تشكل تحدياً بسبب زيادة معدلات الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا.

2-العلاقات ثنائية الأطراف

-النااتو-الجزائر

غابت/غيببت الجزائر من الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي، في بدايته عام 1994. يمكن تفسير هذا الغياب بعدة أسباب؛

(1) الأزمة الأمنية الداخلية الطاحنة، التي كانت تعيشها الجزائر في التسعينات، فقد فضل النظام آنذاك عدم الانخراط في حوار مع النااتو (سيء السمعة في الجزائر)، حتى لا يفسر ذلك داخليا، بأنه يتدخل في الشؤون الداخلية للجزائر.

(¹) Ibidem.

(²) Ibidem.

(2) خشية الحلف الأطلسي من انضمام الجزائر للحوار بسبب الحرب الأهلية لأنه كان من المحتمل أن يتمخض على النزاع انتصار الإسلاميين المناوئين للحلف.

(3) خلاف أعضاء الحلف حول تقييمهم للحالة الجزائرية، صعب من بلورة موقف موحد حيالها.⁽¹⁾

إلا أنه وبعد نقاش طويل داخل الحلف، توج بانضمام الجزائر للحوار المتوسطي سنة 2000. ويمكن كذلك تفسير هذا الانضمام بعدة عوامل؛ (1) التحسن ثم التطور الكبير في العلاقات الجزائرية-الأمريكية، هو ما سرع انضمام الجزائر للحوار. (2) استقرار الأوضاع الداخلية في الجزائر. (3) وصول قيادة جديدة للحكم في الجزائر برئاسة عبد العزيز بوتفليقة، الذي حمل سياسةً جديدةً أكثر انفتاحًا على القوى الكبرى بما فيها الحلف الأطلسي. فبانضمامها لهذا الحوار، أدارت الجزائر ظهرها لمواقفها التاريخية تجاه الغرب عموماً والحلف بشكل خاص، الذي لطالما اعتبرته (آلة حرب) في يد الولايات المتحدة الأمريكية والغرب.⁽²⁾

إذن، فإرادة تعزيز العلاقات بين الجزائر والحلف الأطلسي، توفرت لدى الطرفين. فالجزائر كانت تسعى للتموقع من جديد في المنظومة الإقليمية المتوسطية، واستعادة مكانتها والخروج من قوقعتها التي فرضت عليها، والعزلة الدولية بسبب الأزمة الداخلية. أما الناتو؛ فمن جهته، رأى في انضمام الجزائر للحوار المتوسطي، انتصاراً له. فالجزائر أقوى دولة في المغرب العربي، ولها من الإمكانيات العسكرية والاستخباراتية ومن الخبرة، ما يجعلها قيمة مضافة خاصة في مجال مكافحة الإرهاب في المتوسط.

أكدت الجزائر استعدادها الالتزام التام بالخيار الأطلسي، بعد زيارة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لمقر الناتو في ديسمبر 2001، ثم في 2002. كما كانت هناك زيارات عالية المستوى من حلف الناتو للجزائر. في هذا الصدد صرح وزير الخارجية الأسبق محمد بجاوي: "حصيلة هذا الحوار جد مرضية، فنحن نتقاسم تصورات مشتركة للتهديدات والتحديات". وأضاف: "أن هذا الحوار، كان فرصة لتغطية الفراغ السياسي-العسكري لمسار برشلونة".

(1) عبد النور بن عنتر. البعد المتوسطي للأمن الجزائري: الجزائر أوروبا والحلف الأطلسي. المطبعة العصرية، الجزائر، 2005.

كانت الجزائر من أكثر دول جنوب المتوسط التزاما في الحوار مع الناتو. فقد كانت الجزائر عضواً نشيطاً في المجال العملياتي للحوار مع الأطلسي، إذ كان هناك رسو بحري لسفن الحلف في ميناء الجزائر في 2002 و 2003، ثم في عام 2004. كذلك من خلال مشاركة الجزائر في العملية البحرية المسماة المسعى النشط، كما تعد الجزائر أكثر البلدان الذين يرسلون ضباطاً للتكوين في كلية حلف الناتو بروما.

غير أن الجزائر تراودها شكوك؛ فالصورة السلبية عن الحلف هي السائدة عند الجزائريين، خاصة بعد التدخل في ليبيا، التي قضت على كل الجهود والإجراءات المعتمدة من أجل بناء الثقة، وتبديد الأفكار المسبقة عن الحلف. تظهر شكوك الجزائر من شراكتها مع حلف الناتو كذلك، من مشاركة إسرائيل في الحوار المتوسطي، الذي تعترض عليه الجزائر، والذي تعتبره تطبيقاً للعلاقات معها. سيما مع الضغوط التي تمارسها المعارضة في الجزائر، في هذا الاتجاه فالنظام يخشى من تآكل شرعيته داخلياً، إذا استمر في التعامل مع إسرائيل في إطار الحوار. من جهة أخرى، فالجزائر تجد نفسها مجبرة على التعامل معها خاصةً من خلال عملية المسعى النشط، التي انضمت إليها الجزائر عقب أحداث سبتمبر 2001. فضلاً عن ذلك، فللجزائر شكوك أن إسرائيل تستغل هذه العلاقة، في إطار الحوار الأطلسي للتجسس على الجزائر، غير أن الأخيرة لا تصرح بذلك علنية، فقد كشفت عمليات تجسس عليها في مواقع عسكرية، وفي أبحاث علمية خاصةً في المواقع العسكرية في الرغاية، أولاد فايت، وفي الجنوب بعين وسارة⁽¹⁾.

-الناتو-المغرب

أكد مسؤولون بحلف شمال الأطلسي : *أن المغرب شريك استراتيجي لا محيد عنه في الحوار المتوسطي، لمواجهة التحديات التي تتهدد جنوب المتوسط.* يأتي تطور العلاقة بين المملكة المغربية والحلف الأطلسي، تنمة للعلاقات المغربية-الأمريكية المتميزة، فالولايات المتحدة منحت منذ 2004 المغرب صفة حليف استراتيجي خارج الحلف الأطلسي. المغرب وفي ظل عدم امتلاكه لقدرات طاقوية تمكنه من استغلالها في علاقته بالحلف الأطلسي، فهو دائماً يقدم نفسه "كشريك موثوق"، فهو يشارك في كافة البرامج التي يقودها الناتو، إذ يساهم في عمليات حفظ السلام في

(1) Le courier d'Algerie. 17/03/2012.

البلقان، كما وقع مذكرة تفاهم مع الحلف تتعلق بتبادل المعلومات الاستخباراتية، سيما في مجال الدفاع ضد الهجمات الالكترونية، وفي مجال الأمن الطاقوي أيضاً،⁽¹⁾ كما يعد المغرب مشاركاً نشيطاً في عملية المسعى النشط في المتوسط.

-الناتو-تونس

ظلت العلاقات التونسية-الأطلسية جيدة منذ استقلال تونس، إذ عملت النخب الحاكمة في تونس على تطوير علاقاتها بحلف الناتو. هذا التوجه ربما يعود بشكل أساسي لضعف قدرات تونس الاقتصادية والدفاعية. فهي ترى في الحلف الأطلسي مظلة أمنية لها. لذلك فقد كان انضمامها للحوار المتوسطي مبكراً (1995). وقد تعززت مكانة تونس داخل الحلف الناتو منذ سنة 2015، وذلك مع إعلان أكبر وأهم عضو داخل الحلف وهي الولايات المتحدة الأمريكية، أن تونس حليف استراتيجي لها خارج الحلف الأطلسي.

هذه الصفة تحمل دلالات مهمة وخطيرة في نفس الوقت. هذا التصنيف الذي تحضاه به دول قليلة في العالم، يمكن أن يشكل امتيازاً لتونس خاصة في تعزيز قدراتها لمواجهة مشاكلها الأمنية التي انفجرت بعد الثورة، سيما مخاطر الإرهاب. ومن المعلوم أن تونس لا تملك القدرات الكافية لمواجهة هذه الظاهرة، لا من الناحية المالية ولا على الصعيدين العسكري والاستخباراتي. غير أنه ومن زاوية تحليل مقابلة، قد يكون لهذا القرار مخاطر على صعيد الاستقلالية الأمنية والإستراتيجية التونسية، فسيزيد من تقييد حرية الحركة لدى القادة التونسيين في شؤونهم الداخلية حتى. كما سينعكس هذا التصنيف سلباً على مستوى علاقات تونس بجيرانها خاصة الجزائر، التي انتابها قلق شديد من هذا التحول الإقليمي الجديد، فقد عبر القادة الجزائريون مراراً على رفضهم لتصنيف تونس كحليف استراتيجي للولايات المتحدة خارج الحلف الأطلسي. فالجزائر لطالما رددت أن استقرارها مستهدف، سيما مع سريان إشاعات أن تونس أبدت استعدادها لاستقبال قاعدة عسكرية أمريكية على أراضيها، وهو ما يشكل تهديداً مباشراً لأمنها، رغم أن تونس نفت ذلك دائماً.

(1) Nato, « Maroc quelle réponse aux défis de sécurité. » 19 mai 2014. www.nato.int/cps/fr/natohq/news_110247.htm?selectedLocale=fr

-النااتو-ليبيا

فيما يخص ليبيا، كل الخبراء يجمعون على ضرورة وفائدة إشراكها في الحوار المتوسطي، حالما يطلب صناع القرار ذلك، فالنااتو يتبع سياسة الباب المفتوح إزاء ليبيا. فهم يعتبرون ليبيا جسرا بين أطراف الحوار الجغرافي، أي بين شمال إفريقيا والمشرق العربي. من بين أهداف النااتو كذلك، المساهمة في أمن ما يسميه النااتو (قوس الساحل الصحراوي)، ويمكن لليبيا من هذا المنظور، أن تلعب دوراً فاعلاً في هذا المجال. فضلاً عن أن ليبيا عادت (حسب الحلف)، إلى الأسرة الدولية، بعد القضاء على نظام القذافي، فما المانع من انضمامها للحوار.⁽¹⁾

رابعاً: علاقات النااتو مع دول المغرب العربي بعد التدخل في ليبيا

عمل الحلف الأطلسي جاهداً منذ سنوات طويلة لتحسين صورته في نظر دول وشعوب المغرب العربي، وبناء جسور من الثقة بينه وبين هذه الدول (كما مر معنا). غير أن تدخله العنيف في ليبيا ومساهمته الحاسمة في القضاء على نظام القذافي، زعزعت صورته من جديد وبرهن مرة أخرى أنه مجرد آلة حرب في يد الغرب والولايات المتحدة تحديداً. الأدهى من ذلك، أن النااتو بتدخله العنيف والانتقائي، وبدل أن يساهم في تعزيز أمن المنطقة كما أعلن في وثيقة الحوار المتوسطي، ها هو يحول ليبيا إلى دولة غير مستقرة، ولم يبذل أي جهد في مرحلة ما-بعد القذافي، من إعادة البناء وإدارة الأزمة التي استفحلت بعد الحرب.

من وجهة نظر الحلف الأطلسي، توفرت شروط ثلاث لتدخله في ليبيا. أولاً: طلب داخلي من المعنيين؛ حيث فسر النااتو مطالبة الشعب الليبي للمجموعة الدولية بحمايته من المجازر التي ارتكبتها بحقه القذافي أثناء الحرب، مبرراً له ليتدخل عسكرياً لتحقيق واجب الحماية للشعب الليبي. ثانياً: توفر شرعية دولية،* تمثلت في قرار مجلس الأمن الذي شرعن التدخل لحماية المدنيين. ثالثاً: وجود شرعية إقليمية-عربية، فبعض الدول العربية كانت أكثر المطالبين بالتدخل للقضاء على نظام القذافي.⁽²⁾

(1) PierreRazou. Op cit. P 04.

(*) قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1973، الذي سمح للدول الأعضاء بالعمل وطنياً أو من خلال منظمات إقليمية، "لاتخاذ

التدابير اللازمة لحماية المدنيين تحت التهديد".

(2) عبد النور بن عنتر. الحلف الأطلسي والدول المغاربية .. مرجع سابق.

أما فيما يخص مواقف دول المغرب العربي من التدخل، فجاءت متباينة. فالجزائر وموريتانيا عارضتا التدخل الأجنبي في شؤون ليبيا، معتبرة إياها مسألةً داخليةً. فرغم أن القذافي كان من أكثر أعداء النظام الجزائري، ولطالما سبب له مشاكل، غير أن الجزائر مدركة لنوايا الناتو من تدخله، والذي لم يكن لحماية الشعب الليبي، بقدر ما كان يسعى لتحقيق أغراض إستراتيجية أبعد من ذلك. موقف المغرب جاء متسامحاً حيال التدخل (رغم تحفظه ظاهرياً)، فقد كان للمغرب علاقات مع القذافي. في حين أن تونس قد رحبت بهذا التدخل، في إطار تضامن تونس مع "بلدان الربيع العربي" الأخرى. ننوه هنا أننا نتكلم حول المواقف الرسمية، فالمواقف الشعبية في مجملها كانت رافضة للتدخل الأطلسي.

أما بعدما وضعت الحرب أوزارها، سارعت دول المغرب العربي كعادتها لكسب رضا الحلف، خاصةً بعدما استتبت الأمور لصالح حكام جدد في ليبيا، الذين أقاموا علاقات جيدة مع الحلف كرد للجميل. موريتانيا بحكم قدرتها على التأقلم من جهة، وبسبب انكشافها من جهة ثانية يجعلها لا تفرط في علاقتها مع الناتو، ويمكن أن توظف علاقاتها مع الولايات المتحدة وفرنسا، في هذا الإطار.⁽¹⁾ المغرب، تونس والجزائر من جهتهم، يستمران في تعزيز علاقتهم بالحلف الأطلسي عبر "المناولات الأمنية" التي يقيمونها معه سواء في مجال مكافحة الإرهاب أو في مواجهة الهجرة غير الشرعية.

خامساً: تقييم الشراكة الأطلسية-المغربية: صعوبات وشكوك

يواجه الحوار الأطلسي-المتوسطي عموماً والشراكة الأطلسية-المغربية بكيفية خاصة صعوبات جدية، قد تحد من تطوره مستقبلاً.

لعل أهم المشاكل التي تواجه تطور الشراكة الأطلسية-المغربية هي، الخلافات البينية بين الدول المغربية، والتي ستكبح لا محالة تقدم هذه الشراكة خاصة في شقها متعدد الأطراف. فالدول المغربية يسودها تنافس شديد فيما بينها، فكل دولة تسعى لبناء علاقات متقدمة مع الناتو أكثر من غيرها. خاصةً مع تغير بعض المعطيات، فليبيا "الجديدة" رفعت السقف في علاقاتها مع

(1) المرجع نفسه.

الحلف، ما يدفع بقية الدول إلى تقديم مزيد من التنازلات للنااتو، في إطار المناولة الأمنية بخصوص مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية والجريمة المنظمة..

اختلاف مصالح أعضاء حلف الأطلسي: فبالرغم من الإقرار، بأن النااتو هو أقوى حلف عسكري بعد انهيار حلف وارسو، والأكثر تماسكاً، في الوقت الراهن، غير أن هذا لا يعني خلوه من أية خلافات بين أعضائه. فبخصوص حوار مع المتوسط، والشرق الأوسط، ومع أن أعضاء الحلف، توصلوا إلى صيغ توافقية في رؤيتهم لشكل الحوار وطبيعته. إلا أنه يظل لكل دولة عضوة (خاصة الدول الفاعلة) مصالحها المتباينة، وتفضيلاتها الخاصة. فالحوار المتوسطي، بما فيه مبادرة اسطنبول للتعاون، لا تحظى بإجماع كافة أعضاء الحلف. بسبب تباين رؤاهم الإستراتيجية، ووضعه الجغرافي (القرب أو البعد عن المنطقة)، واحتياجاتهم في مجال الأمن.. يتجلى هذا التباين في المصالح، بين أجنحة الحلف، بشكل أساسي بين الولايات المتحدة الأمريكية كقوة في المنطقة لها مصالحها، وبين أوروبا، الواجهة المباشرة للمتوسط، والمتأثرة أكثر بتهديداته. وحتى داخل البيت الأوروبي الواحد، هناك اختلافات في الأولويات، فبعض الدول الأعضاء في الحلف، تفضل التركيز أكثر على أوروبا الشرقية في توجهات الحلف، أكثر من الضفة الجنوبية للمتوسط، سيما ألمانيا وبولونيا. وقد زاد هذا الاختلاف في الرؤى، بشكل خاص بعد التوسع شرقاً، الذي عرفه الحلف الأطلسي، بضمه لدول عديدة كأعضاء من أوروبا الشرقية، في أعقاب انهيار الإتحاد السوفييتي. أين ظهرت جماعات مصالح جديدة داخل الحلف، تسعى للتأثير في توجهاته.⁽¹⁾

لكن تبقى الولايات المتحدة، الفاعل الأكثر تأثيراً في سلوكيات الحلف. فواشنطن، تلعب دوراً كبيراً في استمرار توجه عدسة الحلف نحو المنطقة العربية بكيفية عامة، بما فيما الشرق الأوسط والمتوسط، بالنظر لما تحتله المنطقة من أهمية حيوية في الأجندة الإستراتيجية-الأمنية والاقتصادية الأمريكية. سواء ما تعلق بالأمن الطاقوي، أو مكافحة الإرهاب، أو الحفاظ على أمن إسرائيل، والالتزام ببقاء الأنظمة العربية التسلطية. لذلك فهي، تؤكد على ضرورة الوجود العسكري في هذا الفضاء الحساس، للتدخل المباشر والفوري، في حال وقوع حرب، أو وجود تهديد

(1) Ibrahim Saidy. "Le rôle de l'OTAN en méditerranée et au moyen orient". Revue internationale et stratégique. N° 73, janvier, 2009. PP 50-51.

لمصالحها. كما تستهدف واشنطن التمتع في المنطقة (=المتوسط)، لمنع أوروبا من أن تتحول إلى قوة مستقلة تماما عن المظلة الأمريكية، أقله على الصعيد العسكري.

أما بالنسبة لأوروبا، فهناك عدة محاور تعبر عن مصالح وأولويات مختلفة. ففرنسا لديها مصالح تقليدية، وعلاقات تاريخية بدول حوض المتوسط الجنوبي، خاصة الغربي. فهي لا تريد توسعا أكبر للحلف الأطلسي، في هذه المنطقة. فهي ترى في هذا التوسع، بسيطرة أمريكية على توجهاته، رغبةً لواشنطن في التمتع في هذه المنطقة. لذلك نجدها تكرر مرارًا، على أن مشاكل المتوسط الغربي الأمنية، والمعضلات التي تعرفها دول المغرب العربي، يمكن أن تعالج في إطار حوار خمسة زائد خمسة، ذو الهندسة الفرنسية. في المقابل، فإن بريطانيا تؤكد فكرة دور عالمي « rôle globalisé » للحلف الأطلسي، سواء في المتوسط أو في الشرق الأوسط أو في أي مكان من العالم. هذا التوجه البريطاني، يندرج ضمن السياسة الخارجية التقليدية لبريطانيا، المتمحورة حول الثالوث التالي: العلاقات عبر-الأطلسية، أوروبا والكومنويلث-Commonwealth. إسبانيا من جهتها؛ تؤكد على مسألة السيادة على جبل طارق، وخلافاتها الحدودية مع المغرب، كما تعبر عن قلقها بشكل خاص، من تزايد الهجرة غير الشرعية، الأمن الطاقوي، وسباق التسلح في المنطقة. مثلما تتادي دومًا بدور فعال للنااتو، وللاتحاد الأوروبي بشكل أكثر تكاملا وتنسيقا، مع مسار برشلونة. إيطاليا، تجعل من أولويات سياستها الخارجية، وخياراتها الإستراتيجية، تهمين الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي، والتعامل بشكل تكاملي مع الإتحاد الأوروبي. تركز على وضعها الرائد في المتوسط، وعلى علاقاتها التاريخية مع ليبيا ومصر. (1)

هذا الاختلاف في مصالح أعضاء الحلف الأطلسي وأولوياتهم، الإستراتيجية والاقتصادية، وشواغلهم الأمنية، من شأنه أن يحد من فعالية الحوار المتوسطي، ومبادرة اسطنبول للتعاون، في إطار العلاقات عبر-الأطلسية المعقدة. (2)

مصدر الشكوك الأخرى، تتعلق أساسا بطبيعة المسائل المقترحة في الحوار. ففي حين تسعى دول الحوار، إلى تفعيل البعد العملي منه، نجد الحلف لا يعير كثير الاهتمام لهذا البعد، ويقتصر

(1) Ibidem.

(2) Voir: Aomar Baghrouz. « La compétition transatlantique face à l'enjeu Maghrébin ». L'année du Maghreb , N°, 02, 2005-2006.

حواره الأساسي، في البعد السياسي؛ أي المشاورات والاجتماعات ثنائية/متعددة الأطراف، حول الأمن في

المتوسط والشرق الأوسط.⁽¹⁾ كما تنتقد دول المنطقة العربية هذا الحوار مع الناتو، كون الأخير لا يتقاسم المعلومات معها، بشأن التطورات الإستراتيجية والنوايا والأهداف، التي يتابعها الحلف في المنطقة. كما يندم التشاور، عند ضبط الخطط وتطوير البرامج في إطار الحوار. مثلما لا يأخذ (الناتو) بعين الاعتبار، بصفة كافية حاجيات بلدان الحوار عند صياغة البرامج. وهذا راجع إلى انعدام الثقة بين طرفي الحوار، أي بين الناتو وشركائه المتوسطيين والشرق أوسطيين. إذن؛ فسوء التفاهم الذي يسرف الحلف الأطلسي في الحديث عن ضرورة تبديده، في حقيقة الأمر هو لا يبذل أي جهد في هذا السبيل.

تعقيد البيئة الأمنية في المنطقة: فتعيش منطقة الشرق الأوسط وكذلك المتوسط، بيئة أمنية جد معقدة. فهي مصدر توتر ولا-استقرار مزمنة، تفرز تهديدات مركبة، تقليدية وجديدة. هذا ما جعل حلف الناتو، يتعامل معها بشكل غير ثابت، فأحيانا نجده يركز على الحوار والحلول السلمية، لمشاكل المنطقة، ويتدخل عسكرياً في شؤونها أحياناً أخرى. على أي حال، فإن التهديدات التي تعرفها المنطقة، يمكن تقسيمها إلى ما يسمى "الأمن الصلب"، ذلك نتيجة للنزاعات المسلحة في المشرق العربي، وتبعات الربيع العربي من تشرذم سياسي في مصر، ليبيا... فضلا عن نمط آخر من التهديدات الجديدة، والتي تنطوي تحت طائلة "الأمن اللين"، مثل الإرهاب، الهجرة غير الشرعية... النمط الأول من التحديات، يتعامل معها الناتو بمقاربة عسكرية، حيث يمارس عقيدة الولايات المتحدة الأمريكية، المتمحورة حول "الحرب الإستباقية". لكنه للأسف، يتعامل بنفس العقلية مع التهديدات الجديدة، التي تتطلب أسلوباً آخر في التعامل، يتمركز أساساً، على الانتقال الديمقراطي والتنمية. لكن الناتو فشل في التعامل معها، وهذا يظهر مدى تفوق التصور الأمريكي، على الرؤية الأوروبية داخل الحلف الأطلسي.⁽²⁾

(1) Ahmed dris. « Le dialogue méditerrané de l'OTAN. » SED-MED séminaire sur la sécurité et la défense en méditerranée, Barcelone: CIDOB.1-2 décembre 2008. P 43.

www.sedmed.org/analysis_ssm/documents/semVII/ahmed_driss.pdf

(2) Ibidem.

الصورة السلبية عن الحلف الأطلسي عند العرب: فكما أشرنا، فإن لحلف الناتو، صورة سلبية قاتمة، لدى العرب، (ونقصد هنا شعوب الدول العربية). رغم أن نخبها الحاكمة توظف علاقاتها المتميزة مع الحلف، لخدمة مآربها الضيقة والمحدودة، من أجل بقائها في الحكم. ومن أجل أيضاً، تقادي ضغوطه بخصوص الديمقراطية وحقوق الإنسان.⁽¹⁾ فالرأي العام للدول المغربية، ينظر بعين الريبة للحلف ويعتبره يد الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية، في المنطقة المغربية. وينبع هذا التصور الشعبي للدول العربية؛ من سياسات واشنطن في هذا الفضاء، بسبب الحروب التي شنتها على العراق في 1991، وفي 2003، والدعم غير المشروط وغير المحدود، لإسرائيل، والتغاضي عن جرائمها في حق الشعب الفلسطيني، بل وشرعتها لدى هيئة الأمم المتحدة، بفعل "الفيتو"، الذي ترفعه في وجه القرارات التي تدين إسرائيل.

خاتمة

يشير الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي، إلى تطور جديد في فلسفة الحلف الأطلسي. ركيزتها الأساس هي الأمن عبر الشراكة، والذي ترجم في مختلف المفاهيم الإستراتيجية للحلف الأطلسي منذ نهاية الحرب الباردة، خاصة مفهوم لشبونة في 2010.

يبدو أن الرغبة في تطوير الشراكة بين الحلف الأطلسي والدول المغربية، قد توافرت لدى الطرفين، فلكل منهما أهدافاً ومصالح متبادلة، دفعت نحو تمتين هذا الحوار. فالدول المغربية وفي ظل غياب تعاون أو أقله تنسيق أممي فيما بينها لمواجهة التهديدات المشتركة التي تواجهها، هاهي تفضل التعاون مع الناتو الذي ترى فيه المضلة التي تقيها هذه التهديدات والمخاطر. أما الحلف الأطلسي، وبعد اطمئنانه لتموقعه في المتوسط الشرقي، رأى بضرورة إتمام مهمته في المنطقة العربية بالتموضع هذه المرة في المتوسط الغربي، لتحقيق أهدافه الإستراتيجية خاصة المتعلقة بتسوية الصراع العربي-الإسرائيلي وفق تصوراته.

هذه الشراكة المتطورة بين الناتو والدول المغربية، تؤكد حقيقة أخرى مفادها، أن منطقة المغرب العربي باتت منطقة مهمة استراتيجياً من منظور أطلسي، من زاويتين: الأولى، الأهمية

(1) عبد النور بن عنتر. "الحلف الأطلسي والدول المغربية.. مرجع سابق. ص 2.

الطاقوية للمنطقة خاصة النفط والغاز في الجزائر وليبيا، ف 65% من واردات أوروبا من الطاقة تمر عبر المتوسط. ثانياً: الانكشاف الأمني للمنطقة خاصة مع دخول منطقة الساحل للمشهد الأمني في هذا الفضاء، وما باتت تفرزه من مخاطر أمنية تقليدية وجديدة، نزاعات داخلية، إرهاب، جريمة منظمة، هجرة غير شرعية...صارت تهديداً مباشراً لأوروبا ولأعضاء الحلف الأطلسي عموماً.

بالرغم من أهمية الشراكة الأطلسية-المغربية، إلا أن هناك صعوبات حقيقية تعترض تقدمها، تقف في مقدمتها غياب الثقة بين أطراف الشراكة، بسبب الشكوك العربية (الشعبية خصوصاً) في نوايا الحلف الأطلسي وأهدافه الحقيقية من هذا الحوار، فضلاً عن تباين رؤى ومصالح أعضاء الحلف الأطلسي وتصوراتهم لطبيعة الشراكة وأولوياتها.